الأنثروبولوجيا
مقارنة بين الآراء القديمة والحديثة

م. د. محمد عباس حسن العبيدي

قسم الجغرافية / كلية الآداب – جامعة بغداد

مقدمة :

الانثربولوجيا. وهي الدراسات المتعلقة بالاقسام الرئيسة للجنس البشري(١)، ومن الملاحظات التي لا يمكن ان تغيب عن بال الباحثين في هذا المجال انه لا يوجد شخصان متشابهان في الخصائص الجسمية والجنسية .

ولذلك فإن الفوارق التي تظهر بين شعوب العالم من خلال الظواهر السطحية لبنية الانسان ولتباين اماكن سكناهم ، يمكن ان تؤدي الى تقسيمات عامة ينقسم اليها النوع البشري الى مجموعات متجانسة ، وان أي تصنيف يساعد على تقسيم السكان الى مجموعات متشابهة في الخصائص الجسمية ربما تعترضه صعوبتان :

الاولى : ان التباين بين الافراد في تلك الخصائص والسمات الجسيمة لم يكن قطعيا او انه يمثل فاصلاً حاداً بينهما ، وانما فيه شيء من التدرج يؤدي من الواحد الى الاخر ، ولم تكن في يوم ما تلك الاوطان التي وجدت عليها الشعوب والمجموعات البشرية حاجزاً جغرافياً يمنع انتقال بعضها او كلها، أي ان ظاهرة الاختلاط بين الجماعات البشرية كان لدرجه مؤثرا في عمليات التصنيف على وفق تلك الخصائص الجسمية ، وحتى ان كان هنالك موطنا للانسان تتصف فيه العزلة الجغرافية الا ان تلك العزلة لم تكن تامة ، ولم يحفظ سكان هذا الموطن عن الاختلاط بغيرها من السلالات .

الثانية : ان المجتمع البشري متصل مع بعضه وخاصة في الوقت الحاضر ومايتوصل اليه الانسان في مكان يمكنه في مكان اخر ان يستفيد منه ، فان كانت احدى السلالات البشرية ، كالمنغوليين الاسيويين مثلا ، مسؤولة عن اختراع الطباعة والورق فلم يكن هناك مانع لسلالة اخرى ان تستفيد من التقنيات الصناعية من جهات اخرى لا تمت بصلة من الوجهة البشرية بهم.

من هذا يظهر ان القابليات والافكار المسؤولة عن بناء الحضارة غير متشابهة بين الاجناس كما لم يكونوا متشابهين في الخصائص المكتسبه والفكرية(٢) .

معنى السلالة :

تنتمي كل الانواع الانسانية الحية في وقتنا الراهن الى نوع بيولوجي واحد وهو ما نسميه الانسان العاقل (هو موسابينس- Homo sapience) والنوع عبارة عن مجموعة جنسية متجانسة لا تستطيع تحت ظروف العزلة الطبيعية التزاوج مع غيرها من الانواع ويعتبر الانسان من نوع متعدد polytypic اذ انه يتكون من عدد من الانواع الفرعية والسلالات ، وسلالة الانسان العاقل هذه تنقسم الى سلالات فرعية عديدة تكون ما نعرفه الان من المجموعات اوالسلالات الفرعية والرئيسة هذا التفرع في السلالات نشأ نتيجة لعزل بعض الجماعات البشرية عن طريق الحواجز البشرية والطبيعية التي امكن بواسطتها منع الاختلاط والتزاوج .

والسلالة ما زالت امراً غامضا يختلف عليه العلماء فلكلمة السلالة Race في القواميس معان كثيرة كذلك في الكتب والبحوث المتخصصة ومع ذلك فلكل هذه التعريفات مسبباته ونجد ان البعض اثناء استخدامه لمصطلح يشير الى اشكال بشرية معينة مختلفة عن بعضها مثل اختلاف الزنجي والاوربي او ربما يشير الى اختلافات في الجنسيات مثل امريكي وإيطالي(٣) .

ويتباين الانسان حسب سلالته من مكان لاخر فلكل مجموعة من البشر صفاتها الخاصة التي تميزها عن غيرها ، والسلالة مصطلح خاص يدل على جماعة من البشر يتصفون بصفات وراثية معينة تميزهم عن غيرهم من الجماعات البشرية ، ويفضل بعض الباحثين استخدام كلمة الجنس Race بدلاً من السلالة وهذه الكلمة مشتقة من Genus اللاتينية وتشمل عدة انواع Species ويستعمل الغربيون كلمة Race للأستدلال على السلالة ، وتعني السلالة الوراثية والتسلسل الاحيائي فيقال ان فلانا من سلالة عدنان او سلالة قحطان أي انه انحدار من هذا الاصل او ذاك .

ولا يمكن استخدام اللغة لتصنيف البشر الى سلالات فهناك اكثر من لغة ، وكذلك الدين لا يرتبط بسلالة معينة ، اما الاسس التي تم تقسيم الانسان فيها الى سلالات فهي الصفات الجسمية التي يمكن مشاهدتها مثل لون البشرة وشكل الشعر ولونه وشكل العين ولونها والبنية وغيرها كفصائل الدم وشكل الرأس والوجه والأنف وطول القامة(٤).

تطور الانسان على الارض :

لم يظهر الانسان على سطح الارض الا منذ فترة زمنية قصيرة مقارنة بعمر الارض التي قدرها العلماء بما يتراوح ما بين ٤,٥ – ٥ مليون سنة وقد ساهم علماء الانثربولوجيا في الاجابة على السؤال المتعلق بعمر الانسان عبر ابحاثهم وتقنياتهم المتواصلة ، ولعل اقدم الهياكل العظمية

التي تم العثور عليها والتي تشبه الى حد ما الهيكل العظمي يتمثل بذلك الذي عثر عليه الدكتور ليكي وزوجته في شرقي افريقيا في ١٧ / تموز / ١٩٥٩ والذي قدر عمره بـ ١,٧ مليون سنة وقد عثر بجانبه على الات حجرية بسيطة ترجع الى اوائل العصر الحجري القديم . ويعتقد العلماء بان الانسان مر بعدة مراحل تطورية في تعامله مع ظروف البيئة بحيث ان مخلفاته مكنت العلماء من تقسيم السجل الانساني الى عدة فترات سمي كل منها تسمية معينة مستمدة اما من المنطقة او من طبيعة الالات المستخدمة ، فهناك الحضارة الافهارية (الفهر هو الحصاة ملء الكف) والاشولية نسبة الى سكان أشول في فرنسا حيث كانت الاد وات الحجرية منحوتة ، ثم تلى ذلك حضارة العصر الحجري القديم ، ثم العصر الحجري الحديث ، وتميز الاخير بوجود ادوات مصنوعة من الحجارة وأوعية فخارية ثم تلى ذلك اكتشاف الانسان للزراعة مما أدى الى استقرار الانسان ونشؤ التجمعات السكانية الكبيرة ثم اكتشاف الانسان للمعادن .

وقد سبقت هذه المرحلة مرحلة انتقالية ما بين العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي تبدأ في منتصف الالف الخامس قبل الميلاد في العراق ومصر وامتازت بان الانسان جمع فيها بين استخدام الحجر في صناعة الادوات واستخدام النحاس، ثم العصر البرونزي والحديدي والى اكتشاف الزراعة ، وبدأ العصر التاريخي المدون في العراق القديم باكتشاف الانسان الكتابة[٥] ، ويوضح الجدول (١) تطور عدد السكان في العالم .

جدول (١) عدد سكان العالم والفترة الزمنية لمضاعفة السكان

التاريخ	عدد سكان العالم (مليون)	المدة التي يتضاعف بها عدد السكان	التاريخ	عدد سكان العالم (مليون)	المدة التي يتضاعف بها عدد السكان
٨٠٠ ق.م	٥	١٥٠٠سنة	١٩٢٠	٢٠٠٠	٤٥سنة
١٦٥٠م	٥٠٠	٢٠٠	١٩٧٥	٤٠٠٠	٣٥
١٨٥٠	١٠٠٠	٨٠	١٩٨٩	٥٢٠١	٣٠

المصدر : د. انور مهدي صالح ، يوسف يحيى طعماس ، الجغرافية العامة للقارات ، مطابع دار الحكمة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٤٠ .

أصول الأنثربولوجيا :

ورد ذكر الاجناس والسلالات في الكثير من الكتب والادبيات العربية سواء كان قبل الاسلام او بعده ومن اهم الكتب التي تناولت هذه المواضيع هو القران الكريم الذي تناول جميع نواحي الحياة

البشرية ومنها الاجتماعية بصورة خاصة فقد ذكره في هذا المجال كما قال تعالى : ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير))(٦).

يقول تعالى مخبرا عباده انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما ادم وحواء وجعلهم شعوبا وهم اعم من القبائل ، وبعد القبائل مراتب اخرى كالفصائل او الاجناس والعشائر والعمائر والافخاذ وغيرها(٧).

ولغرض توضيح العلاقة بين الاراء القديمة والحديثة في الانثربولوجيا سيتم عرض موجز لاراء ثلاث مؤلفات تناولت هذا الموضوع وهي كتاب ((تاريخ البلدان لليعقوبي)) وكتاب((البدء والتاريخ للمقدسي)) ورسائل اخوان الصفا وخلان الوفا .

يعد اليعقوبي من اقدم المؤرخين والجغرافيين العرب الذين اوردوا معلومات تستحق الذكر في مجال الجغرافية البشرية وخصوصا في موضوع السلالات والاجناس فقد ذكر وعبر كتابه (تاريخ البلدان) الحقائق الاتية :

" وقسم نوح الارض بين ولده فجعل لسام وسط الارض ، والحرم وماحوله واليمن وحضر موت الى عمان الى البحرين الى عالج يبرين ووبار والدو والدهناء وجعل لحام أرض المغرب والسواحل فولد كوش ابن حام ، وكنعان بن حام النوبة والزنج والحبشة ، ونزل يافث بن نوح مابين المشرق والمغرب ، فولد له جومر وتوبل وماشي وماشج ومأجوج ، فولد جومر الصقالبة وولد توبل برجان وولد ماشي الترك والخزر وولد ماشج الاشبان ، وولد مأجوج يأجوج ومأجوج وهم في شرق الارض وفي جهة الترك ، وكانت منازل الصقالبة وبرجان في ارض الروم قبل ان يكون الروم فهؤلاء ولد يافث "(٨).

أما المقدسي فهو في طلائع الجغرافيين العرب الذين اشاروا الى الاجناس البشرية المختلفة وحسب صفاتها الجنسية ومواقعها الجغرافية كما ورد ذلك في كتابه ((كتاب البدء والتأريخ)) إذ يقول عن الصينيين: ((الغالب عليهم استدارة الوجوه وفطس الانوف وشقرة الالوان وصهبة الشعور)) (٩).

ويحدد موقعهم الجغرافي بالنسبة لمناطق الجوار فيقول: ((وفي شمال الصين بلاد يأجوج ومأجوج وفي مغاربهم الترك وتبت الهند وفي مشارقهم قوم يكنون في الاسراب لشدة وقع الشمس عليهم ولا يعلم مافي جنوبهم احد الا الله))(١٠) وبعد ان يضع فوارق ما بين سكان الهند وكشمير من حيث لون البشرة، فيصف سكان كشمير بقوله: ((الغالب عليهم البياض لبرد هوائهم))(١١) ويحدد موقعها الجغرافي كذلك: ((وشرق كشمير ختن وتبت الصين وجنوبها مملكة كور وشمالها بلور لوب ووخان وغربها كابل وغزنة))(١٢) اما سكان الهند فانهم كما يقول: ((الغالب عليهم السمرة

والصفرة))[١٣] اما موقعها الجغرافي بالنسبة للمناطق المجاورة فيذكر: ((ومشارق الهند الصين وكشمير وشمالها السند وجنوبهم بلاد محرقة ومجهولة وبحار ومغاربهم الزنج والرانج واليمن)) [١٤] ويقول عن التبت: ((فهم صنف بين الترك والهند... لهم فطس الترك وسمرة الهند))[١٥] اما عن موقع التبت الجغرافي فيقول : ((شرقها الصين وشمالها الترك ومغربها وخان ورابشت وهي اعالي خراسان وجنوبها قشمير)) [١٦] اما يأجوج ومأجوج فيقول عنهم : ((صنف بين الصين والترك الغالب عليهم خفش العيون وفطس الانوف وقصر القامة)) [١٧] ويحدد موقعهم الجغرافي: ((جنوبهم الصين وشمالهم الترك ومغاربهم مشارق قشمير وتبت فلا يدرى مافي مشارقهم))[١٨] اما صفات الترك كما يذكرها المقدسي فهي : ((الغالب على الترك البياض والفطس))[١٩] اما حدودها الجغرافية: ((جنوبهم تبت وبعض الصين ومشرقهم الصين ويأجوج ومأجوج ومغربهم ماوراء النهر من منبعث جيحون الى مغيضة وشمالهم التغزغز))[٢٠] ويقول عن الروم : ((ولهم صباحة وشقرة ونظافة))[٢١] ويحددها جغرافيا فيقول: ((مشارقهم وشمالهم الترك والخزر والروس وجنوبهم الشام والاسكندرية ومغارهم البحر وطنجة وما يليها وكانت الرقة بعضا من حدود الصين)) [٢٢].

ويصف الاحباش فيقول: ((واما الحبشة فقوم سود وبلادهم محرقة))[٢٣] اما موقعهم الجغرافي فيحدده بقوله: ((مشارقهم الحجاز ومغاربهم البحر))[٢٤] ويقول عن الزنج : ((واما الزنج فقوم سود الالوان فطس الانوف جعاد الشعر))[٢٥] اما حدودهم الجغرافية بالنسبة الى المعالم الجغرافية المجاورة فيقول : ((مشارقهم مغارب الهند ومغاربهم البحر)) [٢٦].

كما تناول اخوان الصفا وخلان الوفا في رسائلهم اختلاف الوان واجناس البشر حسب تنوع مناطقهم الجغرافية ، فحين يقسم العالم المعمور انذاك الى سبعة اقاليم كذلك يقسم تلك الاجناس وحسب لون البشرة في كل اقليم اذ تراوح بين الاسود والابيض الى الاشقر ، محددا الحدود الجغرافية لكل اقليم من هذه الاقاليم .

فقد جاء وصفه للسكان في الاقليم الاول كما يأتي : ((عامة اهل هذه البلدان سود)) [٢٧].

واما عن حدود هذا الاقليم الجغرافية فيقول : ((وحده الاول مما يلي خط الاستواء وابتداء هذا الاقليم من المشرق على شمال جزيرة الياقوت فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب ثم يمر على شمال بلد سرنديب، ثم يمر على وسط بلاد الهند، ثم يمر على وسط بلاد السند ، ثم يقطع بحر فارس (بحر العرب) مما يلي الجنوب بلاد عمان، ثم يمر على وسط بلاد الشحر، ثم يمر على وسط بلاد اليمن، ثم يقطع بحر القلزم (البحر الاحمر) هناك ، ويمر على وسط بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر هناك ، ثم يمر على بلاد النوبة ، ثم يمر على وسط بلاد البربر وبلاد البوادي ، ثم يمر على جنوب بلاد مرطانة وينتهي الى بحر المغرب)) [٢٨].

اما سكان الاقليم الثاني فيقول عنهم : ((أكثر اهل هذه البلدان الوانهم من بين السمرة الى السواد)) [٢٩] اما حدود هذا الاقليم جغرافيا فهي كما يأتي : ((وابتداء هذا الاقليم من المشرق ويمر على وسط بلاد الصين ، ثم يمر على شمال بلاد سرنديب، ثم يمر على بلاد الهند مما يلي الشمال ، ثم يمر على قندهار ، ثم يمر على وسط كابل وشمال بلاد السند وجنوب بلاد مكران، ثم يقطع بحر فارس ويمر على بلاد عمان ، ثم يمر على وسط بلاد العرب ، ثم يقطع بحر القلزم ويمر على شمال بلاد الحبشة وجنوب بلاد صعيد مصر ، فيقطع نيل مصر هناك ثم يمر على وسط بلاد الزقة وافريقية ثم يمر على شمال بلاد البربر وجنوب بلاد القيروان ، ثم يمر على وسط بلاد مرطانة وينتهي الى بحر المغرب))[٣٠] .

اما سكان الاقليم الثالث فإنهم كما جاء في هذا المؤلف : ((واكثر اهل هذه البلدان سمر))[٣١] وجغرافيا فإنه يضم البلدان الاتية : ((وابتداء هذا الاقليم من المشرق فيمر على بلاد الصين وجنوب بلاد ياجوج ، ثم يمر على شمال بلاد الهند وجنوب بلاد الترك ، ثم يمر على وسط كابل ، ثم يمر على وسط كرمان ، ثم يمر على بلاد فارس مما يلي البحر ، ثم يمر على بلاد العراق مما يلي الجنوب ، ثم يمر على جنوب بلاد ديار بكر ، ثم يمر على وسط الشام ، ثم يمر على بلاد مصر ، ثم يمر على بلاد الاسكندرية ، ثم يمر على وسط بلاد مرماريق ، ثم يمر على وسط بلاد القادسية ، ثم على وسط بلاد القيروان ، ثم يمر على بلاد طنجة ، وينتهي الى بحر المغرب))[٣٢] .

اما سكان الاقليم الرابع فإنهم كما يقولون : ((وأكثر اهل هذه البلدان الوانهم ما بين السمرة والبياض))[٣٣] ، وأما حدود الاقليم وامتداداته الجغرافية فهي : ((وابتداء هذا الاقليم من المشرق ، فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ومأجوج، ثم يمر على الترك مما يلي الجنوب وشمال بلاد الهند وطخارستان ثم يمر على شمال بلاد بلخ باسيان ثم يمر على شمال بلاد مكران ، ثم يمر على وسط بلاد سجستان ، ثم بلاد كرمان ، ثم بلاد فارس، ثم بلاد خوزستان ، ثم يمر على وسط بلاد العراق ، ثم يمر على وسط ديار بكر ثم يمر على جنوب بلاد الثغر وشمال بلاد الشام، ويمر على وسط بحر الروم وجزيرة قبرص ويمر في البحر شمال بلاد مصر والاسكندرية ، ثم يمر على جزيرة صقلية وشمال بلاد مرماريقي وبلاد القادسية وبلاد القيروان وبلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب))[٣٤] .

ويصف اخوان الصفا سكان الاقليم الخامس فيقولون فيهم: ((واكثر اهل هذه البلدان بيض))[٣٥] اما حدوده وما يضم من البلدان فهي كالاتي: ((وابتداؤه من المشرق فيمر على وسط بلاد يأجوج ومأجوج ، ويمر على وسط بلاد الترك وعلى بلاد فرغانه وبلاد اسبيجاب ، وعلى وسط بلاد ما وراء النهر ، ويقطع جيحون ، وعلى وسط بلادخراسان وعلى شمال بلاد سجستان وكرمان وعلى شمال بلاد فارس ووسط بلاد الري والمهان وعلى شمال بلاد العراق وجنوب بلاد اذربيجان وعلى وسط أرمينية وشمال بلاد الثغر ويمر على وسط بلاد الروس ، ويقطع خليج قسطنطينة هناك ،

ويمر على شمال بحر الروم ووسط بلاد رُومية ، ويمر على جنوب هيكل الزهرة ، وعلى وسط بلاد الاندلس وينتهي الى بحر المغرب)) (٣٦) .

اما سكان الاقليم السادس فقد جاء وصفهم بأنهم : ((وأكثر اهل هذه البلدان الوانهم مابين الشقرة والبياض)) (٣٧) اما امتداداته الجغرافية فهي كالآتي: ((وابتداؤه من المشرق فيمر على شمال بلاد يأجوج ومأجوج ، ويمر على جنوب بلاد سجستان وعلى جنوب بلاد الثغر، وعلى وسط بلاد خاقان وجنوب بلاد كيماك، وعلى شمال بلاد جرجان وطبرستان والديلم وكيلان ويقطع بحر طبرستان، وعلى وسط بلاد مقدونية، وعلى وسط افريقية مما يلي الشمال ، ويمر على جنوب بحر الصقالبة وعلى شمال هيكل الزهرة ، وينتهي الى بحر المغرب))(٣٨).

واخيرا سكان الاقليم السابع فقد وصفوا بانهم : ((واكثر اهل هذه البلدان الوانهم مائلة الى الشقرة)) (٣٩) ، اما جغرافيا وما فيه من الاصقاع والبلدان: ((وابتداؤه من المشرق فيمر على جنوب بلاد يأجوج ومأجوج وبلاد سجستان وبلاد غرغر وعلى بلاد كيماك وعلى جنوب اللآن ، وعلى شمال بحر جرجان وبلاد خنخ ، وعلى جبل باب الابواب ، وعلى جنوب بحر الصقالبة وجنوب جزيرة الري وينتهي الى بحر المغرب)) (٤٠) .

جدول (٢) ((اهم المدن حسب الاقاليم السبعة عند اخوان الصفا)

الاقليم الاول	الاقليم الثاني	الاقليم الثالث	الاقليم الرابع	الاقليم الخامس	الاقليم السادس	الاقليم السابع	خارج الاقاليم
أسقريار.الصين	طغولا . الصين	اراند . الصين	كاشغر .الصين	يأجوج ومأجوج	الثغر	كيماك.الترك	بشمير. الهند
ماسيوفا.الهند	طوانيا . الصين	قندهار.كابل	نضت . الترك	خاقان . الترك	السغد	الجزائر	كوك.الهند
جارون . الهند	قرى . الهند	رويح . سجستان	سمرقند	الطراز.الترك	طبرستان	مراغة	الطيب.السند
سقلي . السند	الغمرة . السند	مكران	بلخ هراة . خراسان	اسبيجاب.السند	قسطنطينة	بيجر	حضرموت
عمان	البرور . السند	السرحان. كرمان	مرور خراسان	خوارزم	مقدونية	هقطة. الروم	رعاة.الحبشة
الميد . السند	الدميل . السند	شيراز.الاهواز	نيسابور	اردبيل			كوكو.الحبشة
عدن . اليمن	ديار تلي . السند	البصرة.الكوفة	جرجان	اخلاط.ارمينية			
دنقلة. النوبة	اليمامة. الحجاز	دمشق.	الري. فارس	منطية.			
كوص وواعلة من النوبة	مكة.يثرب	المقدس	الديلم وجيلان	ماقارونية			
مملكة الحبشة	اخميم. صعيد مصر	الفسطاس	اصفهان.همدان	رومية الكبرى			
	افريقية	الاسكندرية	بغداد.الموصل				
	بلاد السوداني	القيروان.	حلب				
		طنجة					

المصدر : أخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، تراث العرب، دار صادر ودار بيروت . بيروت، ١٩٥٧ ، ص ١٧٠-١٧٩ .

صفة الاقاليم السبعة :

قُسم العالم المعمور الى اقسام واقاليم جغرافية متباينة في الطول والعرض من حيث المساحة كما قسمها بعض الجغرافيين العرب الى دوائر متساوية المساحة، والاقاليم هي سبعة أقسام خطت في الربع المسكون من الارض، وكما يقول أخوان الصفا وخلان الوفا في رسائلهم : ((كل أقليم منه كأنه بساط مفروش قد مد طوله من المشرق الى المغرب وعرضه من الجنوب الى الشمال وهي مختلفة الطول والعرض، فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وأقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع، وان هذه الاقاليم السبعة ليست هي اقسام طبيعية ، وكأنها خطوط وهمية وضعتها الملوك الاولون الذين طافوا الربع المسكون من الارض لتعلم حدود البلدان والممالك والمسالك... وأما ثلاثة أرباعه الباقية فمنعهم من سلوكها الجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار الزاخرة والاهوية المتغيرة المفرطة التغير من والبرد والظلمة فان هناك بردا مفرطا جدا ، لانه ستة اشهر يكون الشتاء هناك ليلا كله ... وفي مقابل هذا الموضع من ناحية الجنوب حيث مدار سهيل يكون نهارا كله)) (٤١).

شكل (١)

((الاقاليم السبعة عند اخوان الصفا وخلان الوفا))

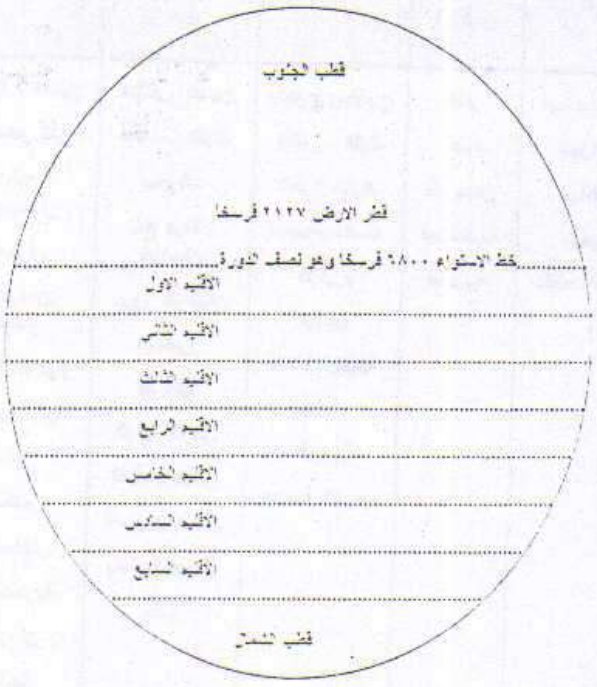

المصدر . إخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، تراث العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧ ص١٦٥ .

النظرة الحديثة للانثربولوجيا :

بعد الاطلاع على آراء بعض الجغرافيين العرب في هذا الشأن كما جاء عند اليعقوبي والمقدسي واخوان الصفا الذين اعتبروا أنموذجا من بين كثير من الجغرافيين والمهتمين الذين تطرقوا الى الجغرافية البشرية عند الشعوب وخاصة في مجال الاجناس البشرية يمكن تلمس اوجه كبيرة للتشابه بين الاراء القديمة والحديثة في هذا الموضوع .

الاجناس او الارساس البشرية مجموعات تكونت تاريخيا وارتبطت بوحدة النشأة التي تتحدد في السمات الفسيولوجية والمورفولوجية الوراثية المشتركة التي تتنوع في حدود معينة ، يتمسك معظم العلماء بنظرية احادية المركز التي تقول ان التفاوت العرقي حدث بعد تواجد الانسان المعاصر في مركز واحد (يعتقد انه في شرق البحر المتوسط والمناطق المجاورة لجنوب اوربا وشمال افريقيا وغرب اسيا) وفي نهاية العصر الحجري القديم على الارجح ظهر مركزان لنشوء الاجناس، وهما المركز الغربي (شمال شرق افريقيا وجنوب غرب اسيا) والمركز الشرقي (في جنوب شرق وشرق اسيا) ، وفي فترة لاحقة توزعت المجموعات البشرية على الكرة الارضية وامتزجت فيما بينها الاجناس المعاصرة (٤٢).

وبالرغم من تقسيم البشر الى سلالات فانه ليست هناك حدود مانعة بين سلالة واخرى ، بل هناك فروق سطحية في المظهر لا في الجوهر ، ولم يعد هناك جنس نقي الا في حالات نادرة في المناطق المنعزلة مثل جبال البرانس حيث توجد جماعة الباسك، ومثل غابات الكونغو حيث الاقزام وكذلك السيمانج والساكاي في غابات الملايو والاستراليون الاصليون في المناطق المقفرة من استراليا وفي بعض جزر المحيط الهادي يوجد الميلانزيون والبولينزيون.

وللتدليل على تشابك الاجناس واختلاط اللغات والاديان وندرة الاجناس النقية نضرب مثلا على دولة اثيوبيا التي تعيش فيها مجموعات متعددة مثل الامهرة والنيجريون والجالا والنيليون والصوماليون والعرب والهنود ، ويدينون بديانات متعددة ويتحدثون لغات كثير واختلط بعضهم مع اكثر من سلالة (٤٣).

المجموعات السلالية الكبرى وتوزيعها الجغرافي :

يمكن تقسم البشر الى ثلاث مجموعات كبرى وكما في الشكل (٢) .

أولاً : مجموعة السلالات البيضاء والسمراء (القوقازية) .

وتقسم الى عدد كبير من السلالات اهما السلالة النوردية في الشمال والسلالة الالبية في منطقة وسط اوربا وسلالة البحر المتوسط في حوض هذا البحر وتوجد في معظم جهات اوربا وجنوب

اسيا وشمال افريقا وشرقها ، ومن اهم ما يميز هذه السلالة عن غيرها هو لون البشرة الذي يتراوح بين الابيض والدموي في الشمال واللون البني في الجنوب ، ومن مميزاتها ايضا الشعر المموج او المجعد الغزير على الرأس والجسد وتمتاز بالفك غير المتقدم والأنف المطبق المرتفع ، اما القامة فتتراوح بين الطويل جدا كما في الجنس النوردي ، وبين المتوسط كما في سلالة البحر المتوسط ، وكذلك الرأس فهو مختلف بين الطويل كما في الجنس النوردي وسلالة البحر المتوسط والعريض كما في الجنس الالبي وفروعه .

ثانياً : مجموعة السلالات الزنجية :

وتوجد في افريقيا المدارية والاستوائية وخاصة في غرب افريقيا ووسطها وجنوبها كما توجد في بعض مناطق جنوب وجنوب شرق اسيا ، وقد نقل جزء منهم الى العالم الجديد عن طريق تجارة الرقيق، ومن اهم صفات هذه المجموعة البشرة السوداء والبنية الغامقة والشعر المفلفل والأنف القصير الواسع، والشفاة الغليضة المقلوبة والفك المتقدم ، اما طول القامة فيختلف بين الطويل جدا كما في الزنوج النيلين والزنوج السودانيين ، والقصير جدا كما في حالة الاقزام ، وكذلك يختلف شكل الرأس والوجه وبعض الصفات الاخرى كالفروق بين الزنوج السودانيين وزنوج البانتو .

ثالثاً : مجموعة السلالات المغولية او الصفراء .

وتوجد في شرق وجنوب شرق اسيا ، كما توجد بين الهنود الحمر في الامريكيتين وبين قبائل الاسكيمو في المناطق شبه القطبية والقطبية وتمتاز هذه المجموعة بلون البشرة المائل الى الصفرة والشعر المستقيم وعظام الخد البارزة والعين المائلة والقامة مختلفة بين القصيرة والمتوسطة والرأس والوجه العريض والجبهة المرتفعة والانف الصغير غير المرتفع.

وهناك مجموعة من السلالات المختلفة : وهي في الواقع ليست مجموعة متجانسة ولكنها عبارة عن بعض سلالات اختلطت فيها دماء من السلالات الثلاث الرئيسة السابقة ، ومن اهم اقسام هذه المجموعة، الاستراليون الاصليون والبوشمن والهنتوت والميلانيزيون والميلاويون والبولينيزيون والاينو والباسك وغيرهم .

وليس الاختلاط بين السلالات المختلطة مقتصر على هذه المجموعة الاخيرة بل ان بالمجموعات الثلاث الرئيسة دماء كثيرة مختلطة، وهكذا يختلف الناس في اشكالهم والوانهم رغم انتمائهم الى اصل واحد نتيجة لتأثير البيئة الطبيعية من جهة وتوريث الصفات الوراثية والمكتسبة للاجيال الاحقة من جهة اخرى، وقد سببت الهجرات الواسعة والاختلاط المستمر بين السلالات ايجاد انواع مختلطة متعددة من البشر تشترك كلها في انتمائها الى اصل واحد وهو الاصل البشري، وتزاوج

افرادها فيما بينهم تزاوجا منتجا ولذلك فبالرغم من تقسيم البشر الى سلالات فانه ليست هناك حدود مانعة بين سلالة واخرى بل هناك فروق سطحية في المظهر لا في الجوهر (٤٤) .

العلاقة بين الاراء القديمة والحديثة :

من خلال العرض الموجز للاراء الحديثة ولبعض الاراء والمحاولات القديمة عند العرب المسلمين لتقسيم العالم المعمور انذاك الى اجناس بشرية والتوزيعات الجغرافية لهذه الاجناس والفرق بينهما من حيث اللون وشكل الانف والوجه وشكل ولون الشعر يمكن تلمس اوجه شبه وتقارب كبيرة بين تلك الاراء.

ان محاولة اليعقوبي حينما تطرق الى قصة نوح (عليه السلام) والتي جاء من خلالها بمحاولات جيدة في مجال الاجناس البشرية ، فقد قسم اجناس العالم وكما جاء في النص المذكور انفا الى ثلاث انوع وهم :

أولاً : الساميون :

وجعلهم في وسط الارض في الجزيرة العربية والحرم والذي يعد حالياً سرة الارض ومركزها بالنسبة لباقي اجزاء العالم ، وكان انتشارهم في اليمن في حضرموت وعمان والبحرين والى الاجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية وبعض اجزاء اسيا الوسطى .

ثانياً: الحاميون :

كان انتشارهم كما جاء عند اليعقوبي في الاجزاء الغربية والشمالية لقارة افريقيا بما فيهم الزنوج والاحباش .

ثالثاً: اليافثيون :

وهم الصقالبة والاتراك وبلاد الخزر أي بحر قزوين وماحولة وانتشارهم الواسع في الاجزاء المختلفة للقارة الاوربية وبعض اجزاء اسيا .

ورغم الفارق والبعد الزمني الكبير الموغل في عمق التاريخ ما بين الاراء القديمة والحديثة والتجربة العلمية الحديثة والتقدم العلمي والتقني الواسع الا أن اليعقوبي قد صنف الناس الى ثلاث مجموعات جنسية وكذلك الحال بالنسبة للتقسيم الثلاثي الحديث للأجناس البشرية الرئيسة في العالم على الرغم من أن تصنيفه كان فيه شيء من التأكيد على العنصر القوقازي حسب التوزيعات الجغرافية التي أشار اليها اليعقوبي .

اما المقدسي فقد كانت له محاولة جيدة في تصنيف الاجناس البشرية المختلفة فعند ملاحظة واستقراء الاجناس التي جاء بها في كتابه : ((كتاب البدء التاريخ)) فقد وزع هذه الاجناس وكلا

حسب صفاته الجنسية الظاهرة ، مثل لون البشرة وشكل الوجه والانف وشكل ولون الشعر وطول القامة ، فقد قسم البشر الى عشرة اقسام مبتدأ وكالعادة من الشرق الى الغرب كما فعل السابقون واللاحقون له ، وقد تباينت الالوان من الابيض الى الاسمر والى الاسود ، مبتدأ من الصينيون مرورا بالهنود والاتراك والرومان منتهيا بالزنوج في افريقيا .

لذلك وحسب هذه الصفات التي تخص كل مجموعة سكانية يمكن القول بان المقدسي لم يبتعد عن الثلاثة اجناس المعتمدة حاليا في تقسيم العالم الى مجموعات سلالية حسب الصفات المتفق عليها في هذا الشأن، وكما في الشكل (٣) وبالرجوع الى نصوص المقدسي فيما يخص الاجناس واختلافاتها بحسب موقعها الجغرافي والفلكي يمكن التوصل الى الاتي :

أولاً : مجموعة السلالة القوقازية .

وقد كان بضمنها وكما أشار المقدسي وحسب الصفات الجنسية الظاهرة شعوب الهند والاتراك والروم او الصقالبة والأحباش والبربر وتراوحت الوانهم بين البياض والشقرة والسمرة ، فضلا عن موقعها الجغرافي الذي يتطابق مع التوزيع العالمي للاجناس كما يشير الشكل (٢) .

ثانيا : مجموعة السلالة المغولية .

وتضم الصين والتبت ويأجوج ومأجوج ، وتميزت هذه المجموعات باستدارة الوجوه وفطس الانوف واللون الأصفر الذي يميز هذا الجنس عن البقية، وكذلك الموقع الجغرافي والفلكي .

ثالثا : مجموعة السلالة الزنجية .

وشملت الزنوج ، وقد ميزهم باللون الاسود والشعر المجعد ، وهذا مايميزهم حاليا عن بقية اجناس العالم البشرية ، فضلاً عن موقعهم الجغرافي والفلكي بالنسبة للعالم وخط الاستواء .

ويمكن التنويه الى ان اسماء البلدان التي ذكرها المقدسي لا تتطابق سياسيا مع الحدود السياسية الحالية لهذه البلدان بل كانت تضم مناطق وبلدان أشمل وكما موضح في الشكل (٣) حسب رأي المقدسي وتحديده الجغرافي للمناطق ويلاحظ ان توزيع المقدسي للأجناس انحصر وكما موضح بالشكل (٣) في قارات العالم القديم أسيا واوربا وأفريقيا ويرجع ذلك الى عدم أكتشاف قارات استراليا والأمريكيتين الشمالية والجنوبية بعد ، وكذلك الأجزاء الجنوبية لقارة أفريقيا وبعض جهات العالم التي لم تصلها الاكتشافات الجغرافية في ذلك الوقت .

كذلك الحال بالنسبة لأخوان الصفا في رسائلهم المشهورة فحين قسموا العالم المعمور آنذاك الى سبعة اقسام من الجنوب الى الشمال او من خط الاستواء باتجاه الدائرة القطبية الشمالية كانت هذه الاقسام او الاقاليم وكما ذكروا عبارة عن اشرطة ارضية وهمية ممتدة من الجنوب بموازاة خط

الاستواء نحو الشمال وكلاً منها موازيا للأخر مختلفة المساحة فهي تبدأ بالتناقص المساحي مع الاتجاه شمالا وممتدة حسب وصف الاخوان من المشرق الى المغرب .

وما يلاحظ على وصف اخوان الصفا انهم اعتمدوا على لون البشرة والموقع الجغرافي فقط دون الاشارة وكما فعل السابقون الى شكل الوجه او الانف او شكل الشعر او القامة .

وكان هناك تداخلاً في الوان البشرة ما بين الاقاليم السبعة فمثلاً كان لون البشرة السائد في الاقليم الاول هو الاسود ويرجع هذا لموقع الاقليم الفلكي القريب من خط الاستواء وهذا يفسر دور المناخ وتأثير أشعة الشمس المباشرة وساعات شروقها الطويلة مما يؤدي الى ارتفاع درجة الحرارة وتأثير هذه الظروف على لون البشرة السائد ، فيلاحظ التداخل في الالوان بين هذه الاقاليم بين الاسود الى الاسمر ثم الابيض واخيرا الاشقر الذي ساد في الاقليم السابع الذي وصف من قبل أخوان الصفا بقلة اشعة الشمس وانعدامها لمدة ستة اشهر وهي اشهر الشتاء الطويل هناك فضلاً عن الظلمة الشديدة والبرد القارص بفعل الجليد الدائم وانخفاض درجات الحرارة ، وما يفسر هذا التداخل في الالوان قرب الاقليم عن الاخر فكما وصفوه اخوان الصفا فانه خط وهمي أي لا توجد هناك فواصل طبيعية جغرافية ولامناخية ، فقد تقع دولة من الدول او شعب من الشعوب مثل الصين ضمن الأربع اقاليم الاولى .

ومن خلال مراجعة نصوص اخوان الصفا عن كل اقليم وتحديداته الجغرافية المذكورة انفا فضلاً عن المدن التي تقع في كل اقليم وكما موضح في الجدول (٢) والشكل (١) مقارنة بالشكل (٢) يمكن القول بان اخوان الصفا لم يذهبوا بأفكارهم بعيدا عن النظرة السائدة في عصرهم وقبله او ما هو مثبت حاليا في تصنيف الاجناس الى ثلاثة انواع رئيسية ، ويظهر ذلك من خلال لون البشرة الذي اتبعوه في التصنيف .

وما يلاحظ انه قريبا من الواقع او التقسيم العلمي الحديث للاجناس البشرية فهو بروز الالوان المميزة لكل جنسٍ او رسٍ من الاجناس الثلاث السائدة او الرئيسية والتي يمكن إيضاحها كما يأتي :

أولاً : الاقليمين الاول والثاني والذي تراوح اللون فيها بين الاسود والاسمر وحسب موقعه الجغرافي وما ضم من مدن وبلدان يمثل لنا المجموعة الزنجية .

ثانياً : الاقليمين الثالث والرابع وكذلك حسب اللون الذي ساد فيه وهو الاسمر والابيض وحسب موقعه الجغرافي والفلكي والمدن والبلدان التي تقع ضمن حدود هذه الاقاليم فهو يمثل الجنس المغولي

ثالثاً : الاقاليم الخامس والسادس والسابع وايضا حسب اللون السائد وهو بين الشقر والبياض وفضلاً عن موقعها الجغرافي وما تضم من بلدان ومدن تمثل المجموعة القوقازية .

مع الاشارة الى ان هناك وكما سبقت الاشارة الى ذلك تداخل بين الاقاليم مثل صعوبة على توزيع هذه الاقاليم وبصورة صحيحة ما بين الاجناس الثلاثة ولكنها محاولة لابد منها لاجراء مقارنة مابين الاراء القديمة عند اخوان الصفا وبين الاراء المعاصرة والحديثة بخصوص تصنيف اجناس العالم .

فهرس المصادر :

٠١ فيدال دي لابلاش ، اصول الجغرافية البشرية ، ترجمة شاكر خصباك ، منشورات جامعة بغداد، ١٩٨٤ ، ص١٣٤ .

٠٢ د. عبد خليل فضيل ، د. علوان جاسم الوائلي ، علم البيئة ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥، ص١٢٩-١٣٠ .

٠٣ د. احمد نجم الدين ، د. غزال عباس حسين ، د.رياض السعدي ، د. عباس فاضل السعدي ، الجغرافية البشرية ، بغداد ، ١٩٧٩ ،ص١٨٥ .

٠٤ د. عباس فاضل السعدي ، اساسيات الجغرافية البشرية ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ٢٠٠٢ ،ص٩٥-٩٦ .

٠٥ د. انور مهدي صالح ، يوسف يحيى طعماس ، الجغرافية العامة للقارات ، مطابع دار الحكمة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٣٩-٤٠ .

٠٦ القران الكريم ، الاية ١٣ ، سورة الحجرات .

٠٧ الامام ابن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القران العظيم ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، عمان ، ص٣١٧ .

٠٨ اليعقوبي احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، بيروت ١٩٦٠ ، ص١٥-١٦ .

٠٩ المقدسي ، مظهر بن طاهر، كتاب البدء والتاريخ ، الجزء الثاني ، باريس ، ١٩٩٠ ، ص٦١ .

١٠ المصدر نفسه ،ص٦١ .

١١ المصدر نفسه ،ص٦٢ .

١٢ المصدر نفسه ،ص٦٢ .

١٣ المصدر نفسه ،ص٦٣ .

١٤ المصدر نفسه ،ص٦٣ .

١٥. المصدر نفسه ،ص٦٣ .

١٦. المصدر نفسه ،ص٦٣ .

١٧. المصدر نفسه ،ص٦٤ .

١٨. المصدر نفسه ،ص٦٤ .

١٩. المصدر نفسه ،ص٦٤ .

٢٠. المصدر نفسه ،ص٦٤ .

٢١. المصدر نفسه ،ص٦٨ .

٢٢. المصدر نفسه ،ص٦٧ .

٢٣. المصدر نفسه ،ص٦٩ .

٢٤. المصدر نفسه ،ص٦٩ .

٢٥. المصدر نفسه ،ص٧٠ .

٢٦. المصدر نفسه ،ص٧٠ .

٢٧. المصدر نفسه ،ص٧٠ .

٢٨. اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، تراث العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٧ ،ص١٧١ .

٢٩. المصدر نفسه ،ص١٧٠-١٧١ .

٣٠. المصدر نفسه ،ص١٧٢ .

٣١. المصدر نفسه ،ص١٧٤ .

٣٢. المصدر نفسه ،ص١٧٣-١٧٤ .

٣٣. المصدر نفسه ،ص١٧٥ .

٣٤. المصدر نفسه ،ص١٧٥ .

٣٥. المصدر نفسه ،ص١٧٧ .

٣٦. المصدر نفسه ،ص١٧٧ .

٣٧. المصدر نفسه ،ص١٧٨ .

٣٨. المصدر نفسه ،ص١٧٨ .

٣٩. المصدر نفسه ،ص١٧٩ .

٤٠. المصدر نفسه ،ص١٧٨-١٧٩ .

٤١. المصدر نفسه ،ص١٦٥-١٦٦ .

٤٢. د. مجيد حميد عارف، اثنوغرافيا شعوب العالم، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩،ص٨٠

٤٣. د. عباس فاضل السعدي ، مصدر سابق ،ص١١٥-١١٦ .

٤٤. د. فؤاد الصقار ، دراسات في الجغرافية البشرية ،ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ ، ص٨٠-٨٣ .

شكل (٢)

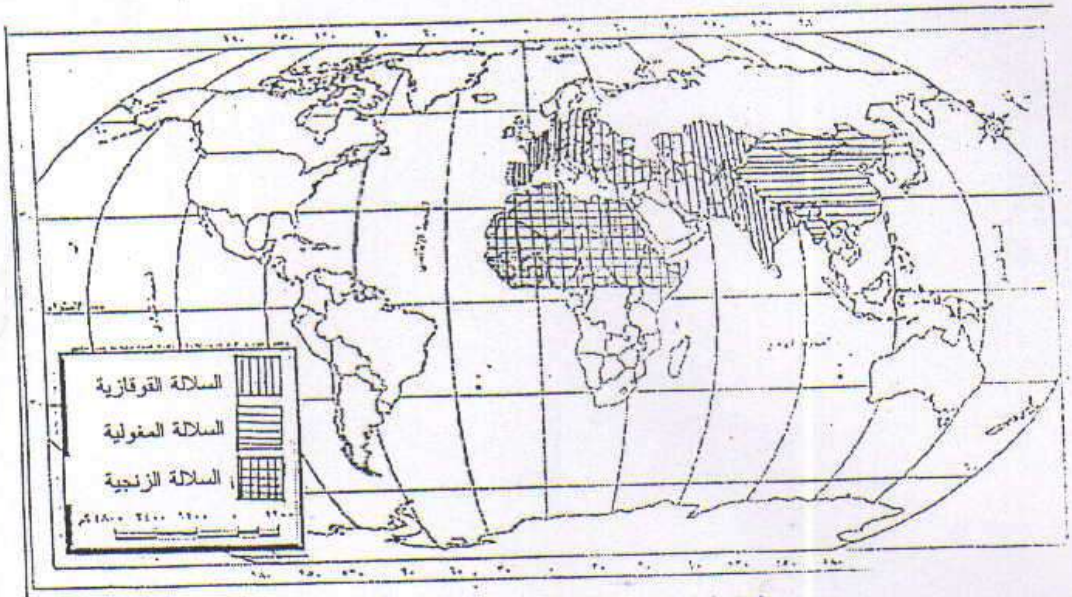

شكل (٢) التوزيع الجغرافي للسلالات عند المقدسي

المصدر – عمل الباحث ، اعتماداً على . المقدسي ، مطهر بن طاهر

شكل (٣)